الجزء ٣ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٣٠ م الموافق رمضان سنة ١٣٤٨ هـ

تصحيفات غريبة

في معجمات اللغة

« فَقَنَّس وقوقيس وقوق ومقوقس »

لم يفت علماء اللغة العربية من ابناء الشرق ان بعض الألفاظ المقيدة في المعاجم اصلها تحريف وتصحيف وقد بين ذلك ايضاً وأجاد في بيانه المستشرق المحترم الشهير الاستاذ اغناطيوس غويدي (Guidi) في رسالة ايطالية نشرها قبل اثنتين واربعين سنة في مجموعة الابحاث المقدمة للمؤتمر الدولي السابع للمستشرقين المنعقد بمدينة وينا سنة ١٨٨٦ (١) ومن المعلوم ايضاً ان بعض الكتبة لما شغفوا بغريب الالفاظ استخرجوا احياناً تلك التصحيفات من كتب اللغة واستعملوها في تأليفاتهم كأنها كلمات صحيحة . ومن هذا القبيل لفظ الفَقَنَّس الذي اول من قيده في المعاجم العربية صاحب القاموس وشرحها بعبارات تدل على ان الكلمة جمع تصحيفين مختلفين كما سيظهر من مقالتي هذه الصغيرة ان شاء الله . جاء في تاج العروس من جواهر القاموس (ج ٤ ص ٣١٠) ما نصه (٢) :

« (الفَقَنَّس كعَمَلَّس) اهمله الجماعة قال الدميري في حياة الحيوان هو (طائر

---

(١) I.Guidi, Alcune osservazioni di lessicografia araba, Verhandlungen des 7. Orientalisten - Congresses in Wien 1886, semitische Sektion, Wien 1888, 83 - 88

(٢) مابين هلالين لفظ القاموس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عظيم بمنقاره اربعون ثقباً بصوت بكل الانغام والالحان العجيبة المطربة يأتي الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوماً ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون) بحسن صوته (ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فتنقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رماداً فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفاء) فالعهدة عليه وقد ذكروه في شرح قوله (والذي حارت البرية فيه) ببيت التلخيص وشرحه في المطول وحواشيه وكأنه سقط من نسخة شيخنا [1] فنسب المصنف الى القصور وهو كما ترى ثابت في سائر النسخ وقال القزويني هو قرقيس [2] ثم ذكر قصته بمثل ماذكرها الدميري [3] وزاد فاذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود ثم تنبت له اجنحة فيطير [4] طيراً فيفعل كفعل الاول من الحك والاحتراق » .

وفي مستدركات صاحب تاج العروس على مادة قوقس ما نصه (ج ٤ ص ٢٢٠ في الاسفل) :

---

(١) هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الفاسي المولود بفاس سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨—١٦٩٩م) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ — ١٧٥٧ م) صاحب تآليف منها حاشية على القاموس ورحلة مهمة جداً وصف فيها سفره من فاس الى مكة ورجوعه الى فاس سنة ١١٣٩—١١٤٠ هـ (١٧٢٧ — ١٧٢٨ م) . وقدسردت ترجمته وكتبه السيدة المستشرقة الايطالية (Laura Veccia Vaglieri) في مقالة عنوانها (Viaggio di un pellegrino attraverso la Libia nel secols XVIII) أدرجت في مجلة (Rivista della Tripolitania) (ج ١ سنة ١٩٢٤ ص ١٣٥—١٣٨) وزدت انا على تلك الاخبار في مقالتي (A proposito del viaggio di un pellegrino attraverso la Lrbia) في المجلة المذكورة (ج ١ سنة ١٩٢٥ ص ٣٧٥ — ٣٨١) .

(٢) لعله غلط مطبعي بدل قوقيس كما ورد في نص آخر من تاج العروس سأذكره عن قريب .

(٣) والصواب ان الدميري نقل قول القزويني . (٤) والصحيح « فيصير » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وقوقيس اسم طائر نقله القزويني وقد ذكره[١] في قفنس » (كذا بتقديم القاف وهو غلط مطبعي) .

اما نسب وصف الفقنس الوارد في القاموس الى الدميري فسهو ظاهر من صاحب تاج العروس لان الفقنس غير مذكور في كتاب حياة الحيوان الكبرى[٢] وما قاله الدميري في قوقنس (او قوقيس كما جاء غلطاً في الطبعات) غير ذلك ومأخوذ من القزويني حرفياً كما قال الدميري نفسه . ونص القزويني[٣] هذا :

« قوقنش[٤] طائر يوجد بارض الهند قال صاحب تحفة الغرائب[٥] هذا الطائر عند التزاوج يجمع حطباً كثيراً للعش ثم لا يزال الذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى تأجج النار من حكهما في ذلك الحطب و يشتعل و يحترقان فيها فاذا وقع المطر على رمادهما

(١) أراد صاحب القاموس لا القزويني الذي لا ذكر للفقنس والقفنس في كتابه .

(٢) وعلى كل حال ولو كان ذكر الفقنس موجوداً في كلا الكتابين بكلام واحد لاستحال الفصل فيما هو الاصل منهما اذ المؤلفان معاصران فعاش الدميري من سنة ٧٤٥ الى ٨٠٨ هـ وعاش الفيروزابادي من سنة ٧٢٩ الى ٨١٧ .

(٣) El - Cazwini's Kosmographie herausgegeben von F. Wüsten feld, Gôltingen 1849 (ج ١ ص ٤٢٣) . وفي الطبعات المصرية من كتاب عجائب المخلوقات (وهو القسم الاول من كتاب القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) اختلافات يسيرة جداً في الرواية لا تغير المعنى .

(٤) كذا في الطبعة الافرنجية وهو اصح من « قوقيس » الوارد في الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس في ثاني الموضعين المذكورين آنفاً . ويظهر ان الدميري نفسه كان قد كتب « قوقنس » بالنون لانه جعله بين القُوق والقُوقي في كتابه المرتب على ترتيب حروف الهجاء .

(٥) كثر ذكر هذا الكتاب في كلا قسمي كتاب القزويني ولكن بدون اسم مؤلفه الذي لا يزال مجهولاً لدينا . انظر في ذلك ما قاله G. Ferrand, Le Tuhfat al - Albab de Abu Hamid al - Andalusi al - Garnati, Paris 1925 من ٢٤٠—٢٤١ (مستخرج من مجلة Journal Asiatique) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يبقى[١] الدود منه ثم ينبت لها جناح وتكبر فتصير فوقنشا[٢] كما كان اصله ثم يفعل ما فعل اصله » .

اما المصراع المذكور في تاج العروس فمن مرثية ابي العلاء المعري لفقيه حنفي مجهول الاسم . قال في البيتين السابقين للاخير[٣] :

بان امر الاله واختلف النا س فداع الى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

واختلف الشراح اختلافاً غريباً في شرح الثاني ومنهم من زعم ان المعني به آدم عليه السلام حيث خلق من التراب (وهو رأي يوسف بن طاهر الخويي في شرح التنوير) ومنهم من زعم انه عصا موسى عليه السلام ومنهم من قال انه ناقة صالح ومنهم من اصاب وقال ان المراد المعاد الجسماني[٤] . ثم اتخذ ابو يعقوب يوسف السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) البيت الثاني شاهداً لكون المسند اليه موصولاً[٥] واتخذه بعده الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في تلخيص المفتاح شاهداً لتقديم المسند اليه فذهب بعض شراح التلخيص الى ان المراد في البيت الفقنس . قال بهاء الدين احمد بن تاج الدين علي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ في عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٠ من طبعة مصر سنة ١٣٤٢ (وفي آخرها ١٣٤٥) : « وقيل معناه ان الله خلق طائراً في

---

(١) وفي الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « تولد » او « يتولد » وهو اصح . (٢) وفي الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « طيراً » .

(٣) شرح التنوير على سقط الزند لابي العلاء المعري (ج ١ ص ٢١٧) من طبعتي بولاق (١٢٨٦) ومصر (١٣٠٣ — ١٣٠٤) .

(٤) هذا رأي ابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ في شرحه لسقط الزند كما قيل في بعض شروح تلخيص المفتاح . واليه ذهب ايضاً سعد الدين التفتازاني وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في كتاب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص (ج ١ ص ٤٨) من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ وغيرهما . (٥) مفتاح العلوم للسكاكي طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ص ٩٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بلاد الهند اسمه فقنس يضرب به المثل في البياض وله منقار طويل وهو حسن الالحان يعيش الف سنة ثم يلهمه الله الموت فيجمع الحطب حواليه و يضرب بجناحه الحطب فتخرج نار فيشتعل فيحترق فيخلق الله من رماده بعد مدة مثله » . وقال محمد بن محمد عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ في حاشيته على شرح التفتازاني المختصر لتلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٣ من الطبعة المذكورة :

« وقال بعضهم المراد به طائر بالهند يقال له الفقنس يضرب به المثل في البياض له منقار طويل فيه ثلاثمائة وستون ثقبة على عدد ايام السنة اذا صوت يخرج من كل واحدة منها صوت حسن يعيش الف سنة واذا انتهى اجله وألهمه الله ذلك دخل عشه ونفخ فيه فيحدث في العش اصوات مطربة فيحترق العش بنار تحدث حينئذ ويحترق ذلك الطائر في العش حتى يصير رماداً ثم يخلق الله من ذلك الرماد بعد ثلاثة ايام ذلك الطائر مرة اخرى ثم اذا انتهى اجله فعل مثل ما فعل اولاً وهلم جرا » .(١)

اما الذي جاء في القاموس ان هذا الطائر العجيب مذكور في كتاب الشفاء لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) فلا سبيل لي الى تحقيقه لانه لم يطبع من الشفاء الا قسم الالهيات وقسم الطبيعيات بطهران سنة ١٣٠٣ — ١٣٠٥ وما وجدت فيهما ذكر هذه الامور كما لم اجده في الترجمة اللاتينية لفن الحيوان من طبيعيات الشفاء وهي ترجمة عملها في ابطاليا ميخائيل الاسكوتي (Michael Scotus) بامر الانبراطور فريدريك الثاني الذي تولى الملك من سنة ١١٩٦ الى ١٢٥٠ م .

ومن الجدير بالذكر ان عجائب شبيهة بهذه نسبها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات الى العنقاء ايضاً فقال (ج ١ ص ٤٣٠ من طبعة غوتنجن) :

« وذكروا ان عمر العنقاء الف وسبعمائة سنة و يتزاوج اذا اتى عليه خمسمائة سنة فاذا حان وقت بيضها وجدت لذلك الماً شديداً فيأتي الذكر بماء البحر في منقاره و يحقنها به فيخرج البيض بسهولة فيحضن الذكر البيض والانثى تمشي تصيد و يفرخ البيض بمائة

(١) انظر ايضاً مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ج ١ ص ٣٩٢) من الطبعة المذكورة وهو كتاب للفه ابن يعقوب المغربي بمكناسة سنة ١١٠٨ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وخمس وعشرين سنة فاذا كبر الفرخ فان كان انثى فالعنقاء الانثى تجمع حطباً كثيراً والذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى يتوقد منه النار ويضرم في ذلك الحطب والانثى تدخل تحت النار حتى تحترق والفرخ يبقى زوج الذكر وان كان الفرخ ذكراً فالعنقاء الذكر يفعل مثل ما فعل الانثى ويبقى الفرخ زوج الانثى » .

اما الدميري مع كثرة نقله عن القزويني ومع اطالة الكلام في العنقاء فلا يذكر ذلك وعلى كل حال كانت هذه الروايات منتشرة في الشرق العربي في القرن الرابع للهجرة (العاشرة للميلاد) لان ابا الحسن بن بهلول النسطوري قال في معجمه السرياني العربي[1] المؤلف قبيل سنة ١٠٠٠ م :

« (فونيكس) عنقاء مغرب تحرق نفسها وتصير دودة ثم يتولد منها حيوان مثل الاول . (فونكوس) او (فونكس) ... طير يسمى فنخس (فونيكس) قيل يعملون من ريشه منديل واذا اتسخت يلقونها في النار فتنظف وتنقى وهي تصلح للملوك[2] ... (فونيكس) الوحيد

---

(١) Lexicon syriacum auctore Hassano Bar Bahlule, ed, R. Duval, Pazisiis 1888 - 1896 عمود ١٥١٤ — ١٥١٥ . وعربيته كثيرة اللحن كما يظهر مما أنقله بدون تغيير لان اللحن صادر عن المؤلف لا عن نساخه . والكلمات الموضوعة بين هلالين سريانية مكتوبة بالحروف السريانية في الاصل .

(٢) الظاهر من هذا الوصف ان فونيكس بهذا المعنى لفظ مرادف للفظ الآخر السرياني سَلَمَنْدرَا وهي مايسمى في كتب العرب السَّمَنْدر او السَّمَيْدر او السمند او السَّمَنْدَل او السَّمَنْدَل تقول العرب انه طائر ببلاد الهند لا يحترق بالنار واذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود الى شبابه وزعموا ايضاً ان المنسوجات غير المؤثرة بالنار المجلوبة من أقاصي البلاد الاسيوية كانت من وبره او ريشه . والحقيقة ان كل هذه الألفاظ محرفة عن كلمة (salamandra) اليونانية (وهي ايضاً لاتينية وايطالية وبالفرنسي salamandre) وهو نوع من الحرذون موجود باوربا كان القدماء يقولون انه لبرودة طبيعته يستطيع ان يجتاز بالنار بدون احتراق . اما السريان والعرب فعند اخذهم ذكر (salamandra) من كتب اليونان ظنوا ان هذا الحيوان طائر بالهند

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي لا يشبه احد . وايضاً (فونيكس) العنقاء وهي طير يحرق نفسه وهو كل خمسمائة سنة اذا أراد ان يتجدد يحمل على جناحيه خشب الدارصيني ويجعله في مكان ويحك نفسه عليه فيظهر منه نار تحرقه فيبقى رماداً فيصير من ذلك الرماد دودة وتنشو وتصير فروج ويصير لها جناحات وبعد سبعة ايام تصير عنقاء كما كانت اولاً وتسمى ايضاً فنخس » .

* * *

أخذت الفرس ايضاً عن العرب بعد الاسلام هذه الحكايات العجيبة وقالوا بالفارسي (قَقْنُس) او (قَقْنوس) « بقافين اولاهما مفتوحة وثانيتهما ساكنة وبعدها نون مضمومة كما ضبط في المعجم الفارسي الشهير الموسوم ببرهان قاطع » او (قوقُنُس) « بقافين ايضاً ثانيتهما بالضم كالنون التالية » او (قوقُنوس) . وأطال الكلام في ققنس « بسكون القاف الثانية كما يتضح من الوزن » الشاعر الشهير فريد الدين عطار[1] في منظومته الفارسية المزدوجة المشهورة في التصوف المسماة منطق الطير[2] وقال ما هذا ملخصه :

يوجد في بلاد هندوستان القَقْنُس[3] وهو طائر عجيب للغاية جميل جداً له منقار

(ومنهم من قال انه نوع من الفأر) ولما عرفوا المنسوجات المذكورة المعمولة من المعدن المشهور باسم حجر الفتيلة (amiante) ذهبوا الى ان مادتها ريش ذلك الطائر الموهوم والسياح الايطاليون الذين كشفوا البلاد الاسيوية في القرن الثالث عشر والرابع عشر واوائل الخامس عشر لبلاد سمعوا من ابناء الشرق هذه العجائب عن طائر (smenda) .

(١) عاش في نيسابور واختلفوا في تاريخ وفاته والمرجح انه توفي سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ — ١٢٣٠ م) .

(٢) Mantic uttaïr, ou le Langage des oiseaux' poèmc de phi[lo]sophie religieuse de Farid uddin Attar, publié en persan par M. Garcin de Tassy, Paris 1857 في الباب السادس والعشرين والابيات ٢٢٩٥ — ٢٣٢٨ (وفي ص ١٢٦ — ١٢٧ من الترجمة الفرنسية المطبوعة ببار يس سنة ١٨٦٣ م .

(٣) ققنس بالفارسي وققنوس في الترجمة الهندوستانية لمنطق الطير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

طويل فيه نحو مائة ثقبة لكل منهـا صوت وفي كل صوت سرٌّ خاص . فاذا صوّت بانغامه تحركت الطيور والسمك وسكتت الوحوش طرباً . ولازم فيلسوف هذا الطير وتعلّم من صوته علم الموسيقى . وليس للققنس أنثى فيعيش منفرداً ويطول عمره الف سنة تقريباً وهو يعرف وقت موته وعند قربه يجمع حوالي نفسه اوراق مُقل و يصوت بالانغام الحزينة المطربة فيموت حينئذ حزناً كثير من الحيوانات . وفي أوقاته الاخيرة يحرّك أجنحته وريشه فتسبب هذه الحركة ناراً تحرق الخشب والطائر ويصيرهما رماداً الا انه عند انطفاء النار يقوم من الرماد قَقْنُس صغير .

واستدلّ فريد الدين عطّار بهذه الحكاية على استحالة الفرار من الموت مهما كانت الحيل التي دبرها الانسان .

وحكاية فريد الدين عطار ادرجها مير علي شير نَوَائي في منظومته بلغة جغتاي (اي التركية الشرقية) المسماة لسان الطير واسم الطائر فيها ققنوس[1] .

* * *

يتضح عند التأمل في هذه النصوص العربية والفارسية ان الفَقَنَّس والقُقْنُس والقوقنش والقوقيس وما اشبه ذلك في الحقيقة شيءٌ واحد وان اقوال العرب والفرس فيه ناشئة عن جمع شيئين مختلفين :

(أ) الطائر المائي الكثير الوجود ببلاد اوربا المسمى (kyknos) باليونانية و (cycnus) او (cygnus) او (olor) باللاتينية و (cygne) بالفرنسية غير معروف بالبلاد الشرقية وهو من جنس الأوزّ الا انه أشد منه بياضاً جميل الصورة ذو عنق طويل جداً ظريف للغاية كان يُضرَب به المثل في صفاء البياض عند اليونان والرومان

(١) عاش مير علي شير نوائي في هراة في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد . اما النص المشار اليه هنا فانظر المجموعة الروسية المسماة (Mir Ali Chir) المطبوعة بلتينگراد سنة ١٩٢٨ م ص ٧٣ — ٧٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يزل يضرب عند الافرنج . وكان القدماء يزعمون[١] انه عند الاحساس باقتراب الموت يصوّت بالنغمات العجيبة الحسن المطربة فاستعملوا كلمة (cygnus) مجازاً بمعنى الشاعر الفائق وهو مجاز رائج ايضاً عند الافرنج الى القرن الماضي دلالةً اما على شاعر شهير واما على مؤلف موسيقي ماهر . وكذلك من العبارات السائرة في ايطاليا وفرنسا «اغنية الققنس» (le chant du cygne) والمراد بها آخر ما قال شاعر من المنظومات الرائقة او الخطيب من الخطب البليغة كأنه حسن الختام .

وهذا الطير هو المقصود في كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق[٢] للقاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي (بالسين) ص ١١ من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ (وفي آخرها ١٣١٧) ١٨٩٨م حيث قال المؤلف ايضاحاً لتعريف العرضي اللازم : « واما اللازم بسبب امر خارجي فمثل الاسود المزنجي والذكر والانثى للحيوان والابيض للطائر المسمى ققنساً[٣] » . ولا شك ان هذا المثال مأخوذ من كتب منطقية يونانية ويحتمل

---

(١) وان شك بعضهم (منهم Plinius الروماني) في صحة ذلك . اما ارسطوطاليس فاقتصر في كتاب الحيوان (في الباب الثاني عشر من الكتاب التاسع) على قول ان (kyknos) « من عادته ان يغرّد لا سيما اذا اقترب من الموت » .

(٢) هو كتاب كاد يجهل تماماً قبل ان اكتشفه في مكتبة بيرونية المرحوم الاستاذ محمد عبده وطبعه وعلق عليه وقرأه في الازهر . ويقرؤه الآن بالجامعة المصرية صديقي وزميلي المحترم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٣) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه : « وجد مضبوطاً في النسخة التي بيدي بضم القاف الاولى وسكون القاف الثانية وضم النون التي قبل السين ولم اجد لهذا اللفظ ذكراً في معجمات اللغة التي امكن الاطلاع عليها لا في مطولاتها ولا في مختصراتها ولا فيما استدركه بعض الباحثين في العربية من الغربيين ولم اجده ايضاً في كتب الحيوان العربية » . ثم قال ان احد المطلعين على اللغة اليونانية واللاتينية اخبره بوجود كلمة (kyknos) الخ . وفات الشيخ كلمة الققنّس وما يشبهها في الكتب العربية واخطأ (وهو معذور) في ظنه ان الققنس هو البلشون او مالك الحزين اذ هذا هو (héron) بالفرنسية و (airone) بالايطالية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان الساوي وجده في القسم المنطقي من كتاب الشفاء لابن سينا الذي لقبه في تلك الصفحة نفسها « افضل المتأخرين زمانا »[١].

(٢) الطائر الخيالي الشهير المسمى (phoiuiks) باليونانية و (phoenix) باللاتينية و (phénix) بالفرنسية و (fenice) بالايطالية الذي كثر فيه الحكايات العجيبة عند اليونان والرومان وان قال بعضهم (ومنهم plinius) بعدم صحتها[٢] فقالوا مثلاً انه موجود ببلاد العرب وانه وحيد في جنسه وان عمره خمسمائة سنة او ١٤٦١ او اكثر وانه يحرق نفسه بحطب عطر يجمعه لذلك ويقوم بعد الاحتراق التام من رماده شاباً مجدداً حتى جعله بعض النصارى القدماء من البراهين الدالة على امكان القيامة وصحتها واتخذوه في الرسوم رمزاً للنشور . والذين نقلوا الكتب اليونانية الى العربية بلا واسطة الترجمات السريانية[٣] عربوا (phoiniks) (فونقس) او (فنقس) على أسلوبهم المعتاد في تعريب الحروف اليونانية ثم التبس قراءة الكلمات بالحروف العربية واتى النساخ بكل نوع من التحريف فكانت نتيجة الالتباس والتحريف ان كتبة العرب والفرس المسلمين أصبحوا غير ميزين بين (phoinix) (فونقس اوفنقس) و (kyknos) (قوقنس او فقنس) ونسبوا الى طائر واحد بعد تحريف اسمه كل الخرافات المتداولة

و (Ardea cinerea L.) في اصطلاح علماء الحيوانات . ولم يصب في قوله في آخر التعليق : « وعلى هذا (اي الاشتقاق اليوناني) يكون الصواب في ضبطه كسر القاف الاولى » لان نطق حرف (y) كان باليونانية اقرب الى (u) منه الى (i) فنقله السريان بالواو دائماً وكتبوا فوقنوسا بمعنى (kyknos) .

(١) ولعل صاحب القاموس اراد المنطق من كتاب الشفاء في قوله المنقول في اول مقالتي هذه .

(٢) ولم يذكر ارسطوطاليس هذا الطير بتة في كتابه في الحيوان .

(٣) اقول هذا لان السريان نقلوا (phoinix) بصيغة فونيكس او فُونِكس او فونِكُوس فلو أخذت العرب هذا اللفظ منهم لكتبوا فونخس او فنخس لان الكاف بعد الحركة تنطق خاء تقريباً بالسريانية . انظر نص برْبهلول النسطوري المذكور آنفاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عند القدماء في شأن طائرين مختلفين احدهما حقيقي الوجود والآخر خيالي تماماً .

وعلى كل حال فان الفَقَنَّس المذكور في القاموس تحريف محض يجب إسقاطه من كتب اللغة وان نقل به حبيب افندي بسترس لفظ (phoiniks) لما عرَّب ترجمة (Larcher) الفرنسية لتاريخ هيرودوتس [1] وأظنه الكاتب العربي الوحيد الذي استعمل كلمة فقنَّس .

والذي يجب ادراجه في القواميس العربية بدل الفقنَّس اثنان : (١) قُوقُنُس او قُقُنُس وهو (kyknos) اليونان . (٢) قُونقس او قُنقس وهو (phoiniks) القدماء .

ومما اراه ايضاً تصحيف قوقنس او فقنس (kyknos) كلمتان لم يذكرهما الجوهري المتوفى فيما بين سنة ٣٩٣ و٣٩٨ وانما فيدهما المتأخرون من علماء اللغة او الخبيرون بعلم الحيوان .

الاولى منهما قوق . قال ابن منظور الافريقي المتوفى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) في لسان العرب ج ١٢ ص ٢٠٠ : « والقوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل لحم الجسم وانشد * كأنك من بنات الماء قوق * » . وقال هذا ايضاً السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) في تاج العروس ج ٧ ص ٥٨ بزيادة « عن الليث » [2] قبل « وانشد » . وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري (ج ٢ ص ٢٢١) من طبعة مصر سنة ١٣١١ : « القوق بالضم طائر مائي طويل العنق قاله في العباب [3] » .

---

(١) في الفصل الثالث والسبعين من القسم الثالث من تاريخ هيرودوتس الشهير ترجم من الفرنسوية بقلم ... حبيب افندي بسترس . بيروت سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧ م .

(٢) يعني الليث بن نصر بن سيار الخراساني اللغوي المعاصر للخليل الفراهيدي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . ولا أعرف هل اصاب صاحب تاج العروس بزيادته هذه .

(٣) يعني العُباب الزاخر واللباب الفاخر لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني (او الصاغاني) المتوفى سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ — ١٢٥٣ م) . ولشغفه بالزيادات على كتب اللغة أصبح مسؤولاً عن أغلاط اتخذها المتأخرون وليس لها اصل سوى التحريف او التصحيف كما دلَّ عليه الاستاذ غويدي في المقالة المذكورة آنفاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اما القزويني فلم يذكره في كتاب عجائب المخلوقات .

ان وصف هذا الطائر يناسب الققنس تمام المناسبة . واقتصار المؤلفين ولاسيما الدميري على هذا الوصف بغير ادنى اشارة الى بلاده وعاداته ومنفعته — يدل على انه كان مجهولاً لاهل الشرق عديم الوجود في بلادهم كالقوقنس (kyknos) . فالارجح ان المراد بالقوق هذا الطائر .

اما الكلمة الاخرى التي أظنها ايضاً تحريفاً أدخل غلطاً في بعض معاجم اللغة فالمقوقس حيث يزعم انه اسم طائر . ولا ذكر لهذا المعنى في الصحاح ولا في لسان العرب ولكن اتى به صاحب القاموس وشارحه .

قال صاحب تاج العروس (ج ٤ ص ٢٢٠) : « (طائر مطوّق طوقاً سواده في بياض كالحمام) عن ابي عمرو » . وهذا الطائر لم يذكره القزويني واما الدميري فمع كثرة كلامه في قصة المقوقس المصري الشهير اقتصر على ما وجده في القاموس فيما يخص الطائر قائلاً (ج ٢ ص ٢٧١) : « المقوقس طائر معروف مطوق سواده في البياض كالحمام » . فالغالب على ظني انه من تحريفات قوقنس (kyknos) ايضاً .

* * *

أختم هذه الملاحظات اللغوية بذكر ورود كلمة (قوقنوس) في كتب طبية عربية تسمية لانواع خاصة من الشيافات (اي من الادوية للعين) وان اهملت كتب اللغة هذا اللفظ والمعنى تماماً . سمى أطباء اليونان أنواعاً من الشيافات (kyknos) تشبيهاً لبياضها ببياض الطائر فاتخذ كحالو العرب هذا الاسم اليوناني وكتبوه قوقنوس وهو مذكور غير مرة في كتاب العشر المقالات في العين المنسوب الى حنين بن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ هـ (٨٠٩ م) وهو الكتاب الذي اعتنى بنشره وترجمته الى الانكليزية وشرحه الدكتور (Max Meyerhof) بمصر سنة ١٩٢٨ م . انظر ص ١٨٧ و ٢٠٨ — ٢١٠ من الاصل او (119 و142 - 140) من الترجمة .

رومية : كارلو نللينو

عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net